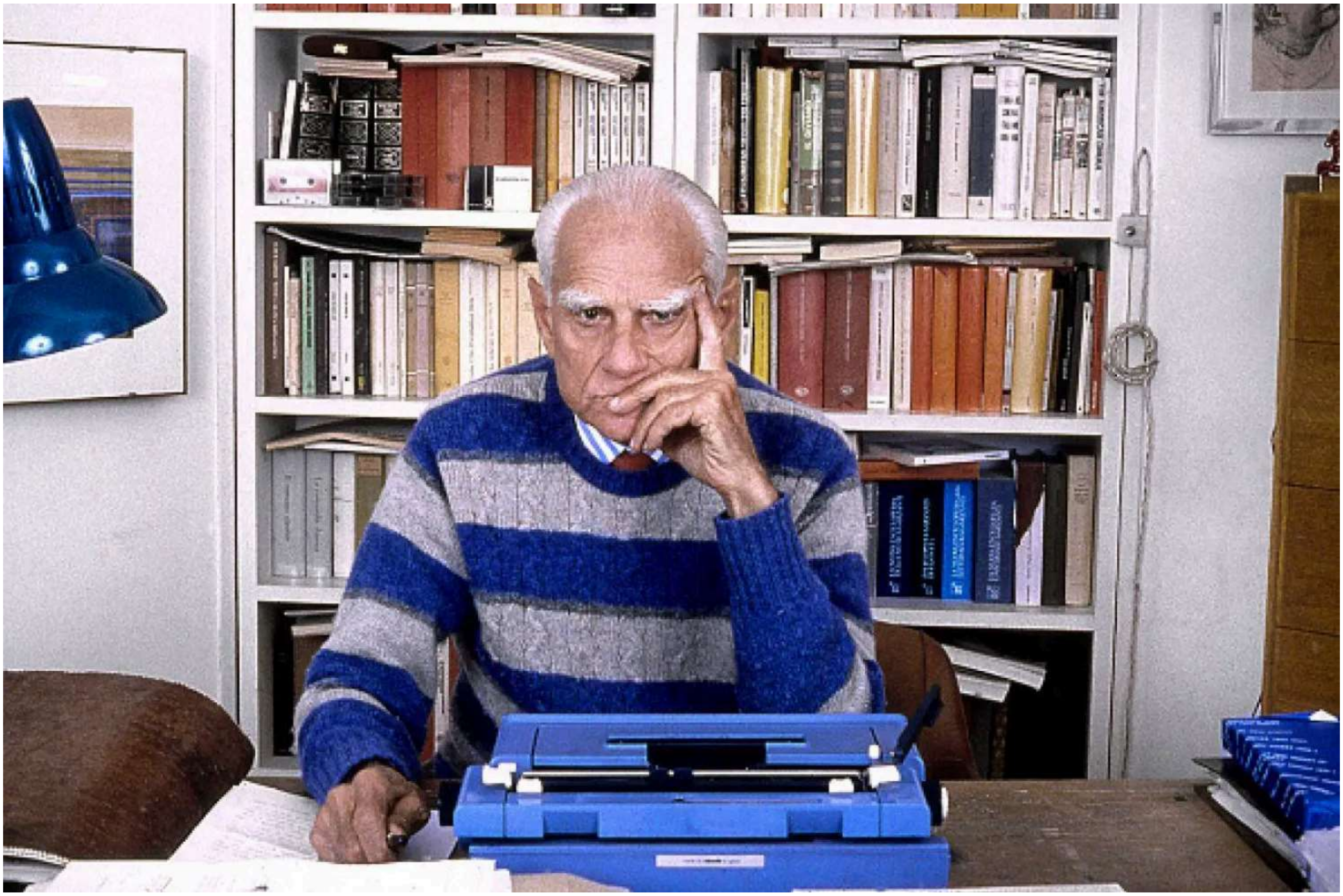
ثقافة وفنون

روما تحتفي بأديبها «المتمرد» ألبرتو مورافيا
35 سنة على رحيل صاحب رواية «السأم»



ألبرتو مورافيا

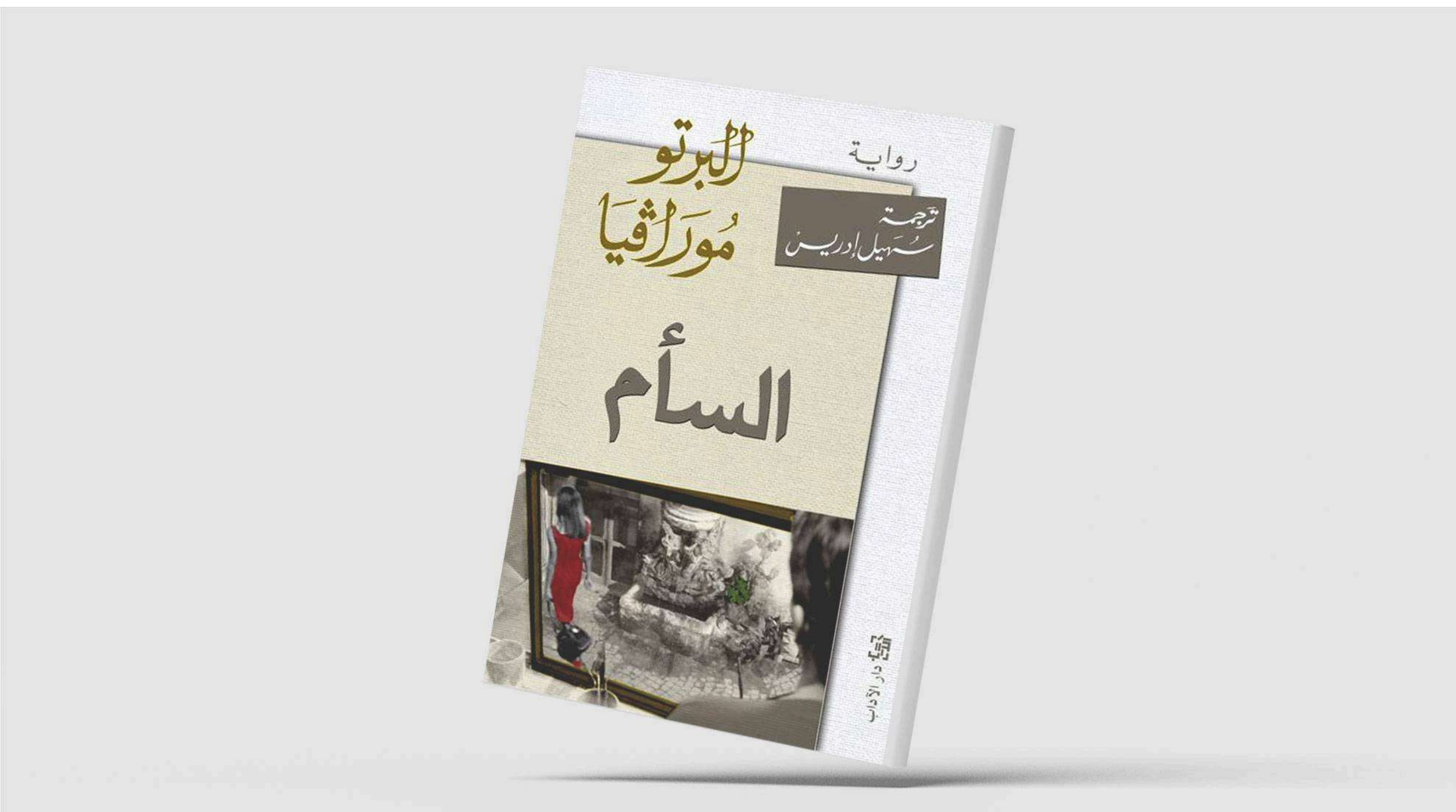
روما: شوقي الريّس

نُشر: 17:51-14 أكتوبر 2025 م . 22 ربيع الثاني 1447 هـ

عندما وقف أومبرتو إيكو في مثل هذه الأيام الخريفية منذ 35 عاماً أمام نعش صديقه ألبرتو مورافيا المسجّى بين ثلّة من الأدباء والسينمائيين والصحافيين الذين كانوا يلقون النظرة الأخيرة على الذي سبق سارتر وكامو إلى الوجودية، خاطبه والدموع تترقرق في عينيه: «عزيزي ألبرتو، أعطيتنا عن ذاتك صورة منحوتة من رخام الزمن مثل تماثيل جزيرة الفصح، حيّة ومسكونة بالألغاز إلى الأبد... واليوم، قبل أن نقع في فخ الابتذال للحديث عن أعمالك المبهرة، من واجبنا وحقك علينا أن نلوذ بصمت إعادة قراءتك لنكتشف تلك الرؤية الثالثة التي ربما حتى أنت لم تكن تعرفها».

تعود روما، اليوم، إلى الاحتفاء بأديبها «المتمرد» الذي بقي شاباً حتى أواسط العقد التاسع من عمره، بعد أن تفرّد عن كل من سبقه في الشهادة على مواطن جمالها الأخّاذة، وأسرار مطارحها ومقاهيها ومكتباتها وعبث سكانها. وتستحضر المدينة الخالدة في ذكرى اليوبيل الفضي لرحيل صاحب «السأم» فصول العشق والحقد التي تأرجحت بينها حياة مورافيا في المدينة التي أحبّها «أكثر من كل النساء» كما قال يوماً لصديقه الأقرب بير باولو بازوليني الذي هو أيضاً كره روما وعشقها وخلّدها في أعماله حتى الرمق الأخير.

صديقه السينمائي الآخر برتولوتشي شكره يوم رثاه: «لأنك لم تبع نفسك للسلطة حتى رحيلك إلى الأراضي التي لا عودة منها». وفي إحدى الندوات التي نظمتها بلدية روما، نهاية الأسبوع الفائت، لتكريم مورافيا، جاءت الصحافية والكاتبة دينا ديسا التي فاجأت المجتمع الأدبي الإيطالي والمحيط العائلي بنشرها «حوارات سريّة» دارت بينهما طيلة علاقة جمعتهما أكثر من 20 عاماً، وتحدثت عن «نساء مورافيا» اللواتي «من دونهن لا يمكن أن نفهم هذا الكاتب الفذّ الذي ما زلنا في المراحل الأولى من اكتشاف عبقريته»، كما قالت في محاضرتها.



تقول ديسا إن تلك الحوارات هي ثمرة صداقة متينة بدأت بينهما يوم ذهبت إلى بيته في روما لإجراء مقابلة معه لصحيفة «تمبو» وهي في العشرين من عمرها، ولم تنقطع حتى وفاته، وتناولت جميع المواضيع الأثيرة لديه، من الجنس إلى الغواية واللاوعي والغيرة والإيمان والفن... والمرأة. وقالت إن تلك

العلاقة المديدة لم يكن يعلم بها أحد، حتى أقرب أصدقائه. وتضيف: «تعارفنا بعد أسابيع قليلة على زواجه الثاني من الإسبانية كارمن لييرا، ومن يومها لم تنقطع لقاءاتنا في روما، وفي منزله على البحر حيث كان يترك لي غرفة نومه، وينام هو في مكتبه ليوقظني مع طلوع الفجر، ويحدثني عن الموت».

عندما تزوج مورافيا عام 1986 من كارمن لييرا، التي كانت محاضرة في جامعة بامبلونا الإسبانية، كان على أبواب الثمانين من عمره وهي في الثامنة والثلاثين. وبعد عامين على زواجهما نشرت لييرا كتاباً بعنوان «جورجيت»، مهدّت له بإهداء إلى زوجها ألبرتو، تروي فيه تفاصيل علاقة حب عاصفة ربطتها بالزعيم الدرزي اللبناني وليد جنبلاط الذي تعرفت إليه في أحد فنادق أوسلو عندما كانت برفقة مورافيا الذي كان عضواً في البرلمان الأوروبي آنذاك، للمشاركة في أحد اجتماعات المنظمة الاشتراكية الدولية التي ينتمي إليها حزب جنبلاط. وتسرد لييرا في كتابها حيثيات تلك العلاقة التي تنقلت بين روما والمختارة ودمشق، ثم جنيف بعد أن انقطع جنبلاط عن زيارة العاصمة السورية، وكيف تعرفت إلى والدته وزوجته، وكيف خفت بريق تلك العلاقة وانطفأت جذوتها بعد أن صارت اللقاءات تدور في جنيف وليس في الجبل الدرزي.

وعندما بلغها نبأ وفاة مورافيا، كانت كارمن في المغرب، فطارت على عجل إلى روما لتصل قبل دقائق من بداية جنازته، وهُرعت لتركع أمام جثمانه، وقبَّلته على فمه، ثم راحت تلامس جسده كما لو كان حيّاً، وتتمتم: «ألبرتو، ألبرتو!»، وفي وصيته ترك مورافيا لكارمن نصف ثروته، والنصف الآخر لرفيقته الكاتبة داريا مارايني التي عاشت معه طيلة عقدين، وتمنَّى على الاثنتين الاهتمام بشقيقتيه اللتين لعبتا دوراً محورياً أيضاً في حياته.

لكن لا شك في أن العلاقة الأهم في حياته كان زواجه الأول من الكاتبة المعروفة إلسا مورانتي، والذي انتهى بخلافات عميقة بينهما تسببت بمعاناة شديدة لها بعد مرحلة أولى كانا خلالها العنوان الأبرز للحياة الأدبية الإيطالية، وجابا معاً الكثير من العواصم والبلدان، رمزاً لإيطاليا الخارجة من أتون الفاشية والحرب العالمية. ثالث تلك العلاقة كان المخرج السينمائي المعروف بيير باولو بازوليني الذي رافقهما في جميع الرحلات التي جابا خلالها بلاداً عديدة كانت الهند والاتحاد السوفياتي وكوبا محطات رئيسية فيها تناولها مورافيا في مؤلفاته ومقالاته الصحافية التي كان ينشرها في أبرز الصحف والمجلات الإيطالية. أومبرتو إيكو تناول تلك الصداقة المثلثة في كتاباته، وكان يتساءل باندهاش: «كيف كان مورافيا قادراً على التوفيق بين طاقته الجامحة وإقباله على الحياة من جهة، والملل الذي كان يسكن في أعماق روحه المضطربة؟! هذا كان سرّه الأكبر الذي رحل معه... رغبة في الحياة تفوق أي شيء آخر».

المخرج السينمائي برتولوتشي في رثاء مورافيا: شكراً لأنك لم تبع نفسك للسلطة حتى رحيلك إلى الأراضي التي لا عودة منها

شهد مورافيا النور في روما عام 1907، حيث عاش طفولة متعثرة في صحته، ثم أصيب شاباً بمرض السلّ الذي اضطرّه لدخول مصحّ لسنوات انصرف خلالها إلى قراءة أعمال الكبار من شكسبير إلى موليير ومالارميه وجويس ودوستويفسكي، وتعلّم الفرنسية والألمانية. في عام 1925 غادر المصحّ، وتفرّغ للكتابة لتصدر له روايته الأولى «اللامبالون» التي سرعان ما لاقت رواجاً واسعاً، وتُرجمت إلى لغات عدة. وبعد أن بدأ نجمه يلمع بفضل مقالاته الصحافية التي كان ينشرها في صحيفة «لاستامبا»، استدعته جامعة كولومبيا في نيويورك لإلقاء سلسلة من المحاضرات دار معظمها حول الحركة الوجودية، وكانت مثار اهتمام ونقاش واسع في الأوساط الأدبية.

خلال الحرب نشر مورافيا أهمّ رواياته مثل «الرومانية» و«آغوستينو»، وكان يكتب بانتظام في عدد من الصحف الإيطالية الكبرى مثل «كوريري دي لا سيرا» التي استمرّت تنشر مقالاته حتى وفاته. وبعد أن نال عدداً كبيراً من الجوائز الأدبية، نُقلت روايات عدة له إلى السينما على يد كبار المخرجين الإيطاليين والأوروبيين مثل فيتوريو دي سيكا ولويجي زامبيا وبرتولوتشي وجان لوك غودار، لكن صديقه الأقرب بازوليني لم ينقل إلى الشاشة أياً من أعماله.

في آخر مقابلة صحافية معه قبل أسابيع من وفاته قال مورافيا: «ليس سهلاً القول بمن تأثرت أعمالي الأدبية. ربما تأثرت بدوستويفسكي وجويس من حيث تقنية السرد. جويس علّمني استخدام عنصر الزمن موصولاً بالفعل، ومع دوستويفسكي أدركت تعقيدات الرواية الدرامية. «الجريمة والعقاب» كانت منارة أدبية بالنسبة إليَّ. أُعجبت كثيراً برامبو وبودلير وبعض الشعراء الذي يشبهون بودلير. أما من المعاصرين، فقد تأثرت بكونراد وستيفنسون وفيرجينيا وولف، وأيضاً بتشارلز ديكنز الذي في اعتقادي لم يبدع إلا في «أوراق مقهى بيكفيك»، وما تبقّى عنده لا قيمة له بنظري».

مواضيع أدب كتب إيطاليا